قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الاسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

المقارنة بين الخطاب الإلهي للأنبياء والخطاب الإلهي للأمم: دراسة في الدّلالة النّحويّة

Comparison between the divine discourse to the prophets and the divine discourse to the nations: A study in grammatical semantics

م. د. رنا ماجد ثابت الجبوريّ/الجامعة المستنصريّة/ كليّة التّربية البدنيّة وعلوم الرّياضة*

Abstract

This study aims to examine the semantic and grammatical differences between the divine discourse addressed to the prophets and the divine discourse addressed to nations in the Qur'an, through grammatical structures, verbal forms, modes of address, and the use of emphasis, conditional, and imperative tools. The study takes as its point of departure the hypothesis that the difference in addressees reflects a deliberate semantic and grammatical variation, which contributes to achieving the messenger and educational function of the Qur'anic text.

The research adopts a descriptive-analytical method, combined with a semantic-grammatical approach considering Qur'anic organization, and is accompanied by an applied study of selected Qur'anic texts. The study concludes that the divine discourse addressed to the prophets possesses distinct grammatical and semantic features that set it apart from the discourse addressed to nations and communities, in a manner consistent with the prophetic rank and their communicative role, revealing an aspect of the semantic miracle in the Qur'an. Based on the mechanisms of functional grammar and approaches to pragmatic analysis, by applying them to selected models of Qur'anic texts, to reveal the subtle semantic differences inherent in those grammatical functions, thus contributing to deepening awareness of the role of grammar in constructing meaning and guiding the paths of Qur'anic discourse.

Keywords: Qur'anic discourse, grammar, semantics.

* Corresponding author **Instructor. Rana Majid Thabit Al-Jubouri, PhD**
University of Almustansirya / College of Physical Education and Sports Sciences
rana_aljopore@uomustansiriyah.edu.iq

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: ٢٠٢٦/٢/١١م

المراجعة: ٢٠٢٦/٢/١٧م

القبول: ٢٠٢٦/٢/٢٨م

الكلمات المفتاحية:

الخطاب القرآني،

النّحو، الدّلالة.

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الفروق الدّلاليّة النّحويّة بين الخطاب الإلهي الموجَّه إلى الأنبياء والخطاب الإلهي الموجَّه إلى الأمم في القرآن الكريم، عبر التراكيب النّحويّة، وصيغ الأداء الفعليّ، وأنماط النداء، وأدوات التوكيد، والشرط، والأمر والنهي. ويتّخذ البحث منطلقًا من فرضيّة مفادها أن اختلاف المخاطَب يعكس اختلافًا دلاليًا ونحويًا مقصودًا، يسهم في تحقيق الوظيفة الرساليّة والتربويّة للنص القرآنيّ. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الدّلاليّ النّحويّ في ضوء النّظم القرآنيّ، مقرونًا بدراسة تطبيقيّة لنصوص قرآنيّة مختارة. وتوصل البحث إلى أنَّ نص الخطاب الإلهي للأنبياء يمتاز بخصائص نّحوية ودلاليّة ينماز بها عن خطاب الأمم والجماعات، بما ينسجم مع المقام الرسالي للأنبياء ووظيفتهم التبليغيّة، ويظهر جانبًا من الإعجاز الدّلالي في القرآن الكريم. استنادًا إلى آليات النحو الوظيفي ومقاربات التحليل التداولي، من خلال تطبيقهما على نماذج منتقاة من النّصوص القرآنية، للكشف عن الفروق الدلاليّة الدقيقة الكامنة في تلك الوظائف النحويّة، بما يسهم في تعميق الوعي بدور النحو في بناء المعنى وتوجيه مسارات الخطاب القرآني.

١.المقدمة

إنَّ الخطاب الإلهي في القرآن الكريم من أسمى أنماط الخطاب اللغوي وأشدّها إحكامًا في البنية والدّلالة، عبر تغاير الأساليب وتنوّع المقاصد الخطابية تبعًا لاختلاف السياقات. ويتجلّى هذا السياق عن تمايزٍ تركيبيٍّ ودلاليٍّ ملحوظ بين الخطاب الإلهي الموجَّه إلى الأنبياء عليهم السلام والخطاب الإلهي الموجَّه إلى الأمم، وهذا التمايزُ لا يقتصر على المستوى البلاغي أو التداوليّ حسب، بل يتأسّس في عمقه على فروقٍ نحويّةٍ دقيقةٍ تؤدي وظائف دلاليّة مخصوصة، تسهم في توجيه المعنى وتحديد أبعاد العلاقة الخطابية في مستوى التخاطب الإلهي .ويتأسّس هذا البحث على افتراضٍ علميٍّ مؤدّاه أنَّ البنية النّحويّة في الخطابين تؤدي دورًا دلاليًا حاسمًا في رسم ملامح المقام الخطابي؛ ويتميز الخطاب الموجَّه إلى الأنبياء بخصوصية في البناء التركيبي، ودقة الصياغة، عبر اعتماد صيغ فعليّة وأنماط نداء مخصوصة تتوافق مع مقام الاصطفاء والتكليف الرسالي، أمَّا الخطاب الإلهي الموجه إلى الأمم بصيغ تحمل دلالات نحويّة تحمل طابع العموم، والتوجيه، والإنذار، والتقريع، أو التشريع، بما يتلاءم مع طبيعة التلقي الجماعي وتفاوت مستويات الفهم والاستجابة.

وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الدّلالة النّحويّة الكامنة في هذا التمايز الخطابيّ، اعتمادًا على تحليل التراكيب النّحويّة، وصيغ الأفعال، وأدوات النداء، والأمر والنهي، والشرط، والتوكيد، في سياقاتها القرآنية المختلفة، استنادًا إلى المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من معطيات النّحو الوظيفيّ والسّياق القرآنيّ العام والخاص، لبيان مكانة النّحو في الخطاب القرآنيّ الذي هو ليس إطارًا شكليًا محايدًا، بل آلية دلاليّة فاعلة في بناء المعنى وتوجيه الخطاب.

١.١.مشكلة البحث

لقد أُسندت كثير من الدراسات السابقة على مقاربة من منظور شكليّ للنحو القرآنيّ، مركّزة على النسق النحويّ أو تناولت الخطاب القرآنيّ من منظور بلاغيّ عام، دون إيلاء العناية اللازمة بالغرض والأثر الوظيفيّ للنحو. في حين يكشف القرآن توظيف النّحو لتحقيق الأغراض الدلاليّة والنفسيّة والتواصليّة، وهذه الدراسات لا زالت محدودة لأنَّها عُدّت من الدراسات اللغويّة المقارنة عند تناولها مستويات الاختيارات النّحويّة وفقًا لنوع الخطاب الإلهي الموجَّه، سواء للأنبياء أو للأمم والمجتمعات، مع غياب الربط الواضح بين هذه الاختيارات والمقاصد التداوليّة المحددة. بناءً على ذلك؛ لذا تهدف هذه الدراسة إلى

معالجة هذا الفراغ المنهجي اعتمادًا على أدوات النّحو الوظيفيّ والتحليل التداولي على نصوص قرآنية مختارة، لتحديد التباينات الدلاليّة الدقيقة لتلك الوظائف النّحويّة، ممّا يعزز إدراكًا أعمق لأثر النحو في تنظيم المعنى الدلاليّ وتوجيه الخطاب القرآني.

١.٢.أهداف البحث

يهدف البحث الكشف عن ملامح الخطاب القرآني التواصلي الإلهي الموجه للأنبياء والأمم والاختلاف بين الخطابين، مع التحليل اللغويّ للظواهر النّحويّة على وفق الوظيفة الدّلاليّة للخطاب ضمن السياق التداولي. بالاستناد على أثر الأساليب النّحويّة في تحقيق المقاصد الإلهيّة الدّاعية إلى التكليف، والتوجيه، والتثبيت، والتعليم، والتشريع، والتوبيخ وهذا المقاصد الدلاليّة قائمة على ربط التّصور اللغويّ بين البنية النّحويّة والمعنى التداوليّ للخطاب القرآني، وفق المقام الخطابي.

٢.المطلب الأوّل/ المفاهيم النظريّة

- المقارنة: مأخوذة من المُفاعلة[١]، والمقارنة تدّل على المقابلة بين الشيئين وهي من قَرَنَ الشيء بالشيء، وإلى الشيء، للمقارنة بين الشيئين[٢]، والمقارنة في الاصطلاح هي إجراء تحليلي قائم على المقابلة بين عنصرين أو أكثر لإظهار أوجه التشابه والاختلاف بين شيئين[٣]. فالمقارنة في البحث اللغوي، تُعدّ الأداةً المنهجية لإظهار القيم الدلاليّة الدقيقة، عند موازنة التراكيب اللغوية والأساليب في سياقاتها اللغوية المختلفة.
- الخِطاب: هو فعل الكلام الموجه إلى المُخاطب لتحقيق الإفهام والإعلام[٤]، للمتهيء لهذا القصد[٥]، فالخطاب القرآني هو الكلام الإلهي المُعجز المُنزل على نبي الأسلام لتوجيه البشر،كلٌّ بحسب المقام والسّياق لتحقيق المقاصد والأهداف[٦]؛ لذا جاء الخطاب القرآني متنوعًا؛ لاختلاف المقامات واختلاف المخاطبين بحسب السّياق[٧]، فعند دراسة القرآن من منظور نحويّ وظيفيّ، نحلّل أسباب اعتماد هذه البنية دون سواها تبعًا لمقتضى مقام الخطاب الإلهي. فيتحقق المعنى الوظيفيّ النّحويّ من خلال تآزر

---

(١) يُنظر: التعريفات:١٧٤.

(٢) يُنظر: مقاييس اللغة، مادة(قرن):٧٦/٥.

(٣) يُنظر: مناهج النقد المعاصر:٤٥-٤٧.

(٤) يُنظر: مقاييس اللغة، مادة(خطب):٣٧٣، وتاج العروس، مادة (خطب):٢/ ٣٧٢.

(٥) يُنظر: الإحكام في أصول الأحكام:١٦٣/١.

(٦) يُنظر: الاتقان في علوم القرآن:١١٤/٣.

(٧) يُنظر: التحرير والتنوير:٢٨١/١٤.

جميع الوظائف النّحويّة داخل بناء النص القرآنيّ[١].

- الدّلالة النّحويّة: إنَّ العلاقات النّحويّة بين الكلمات داخل السّياق اللغويّ له دلالة خاصة حاصلة نتيجة تعالق الكلمات كلًا بحسب موقعه ووظيفته من الجملة على وفق القاعدة النحويّة، والثابت في علم الدلالة والنحو أنَّ معنى الجملة العام ناتجعن ترابطهما؛ لأنَّ الدّلالة النحويّة هي "المحصلة من استخدام الألفاظ، أو الصور الكلاميّة في الجملة المكتوبة، أو المنطوقة على المستوى التحليليّ أو التركيبيّ"[٢]، وبهذا تتحقق الوظيفة النّحويّة الناتجة عن ترتيب مواقع الكلمات داخل السّياق بحسب المقام الذي يُستمد منه اتساقهما وانسجامهما في نظام خاص بالجملة وترتيبها ترتيبًا يناسب جميع السياقات اللغويّة وغير اللغويّة[٣].
- المطلب الثّاني/الخطاب الألهي الموجه في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:٢١٣)، إذ تبيّن من الخطاب القرآني الذي وصف أنَّ الناس في الماضي كانوا أمة واحدة؛ لدلالة الفعل الماضي الناقص (كان) على تحقق الحالة وثبوتها نسبةً إلى زمنها، وهذا الفعل لا يدل على الاستمرار وبقاءهم (أمةً) التي أفادة الإبهام النوعي؛ لأنَّها جاءت نكرة ثم تخصصت بالوصف عند قوله تعالى: (واحدةً) على جهة التعظيم والتفخيمالمؤكّد دلاليًا ومعنويًا. (فَبَعثَ) الله سبحانه وتعالى الأنبياء من المبشرين والمُنذرين للدلالة على بيان حالهم، فـ(الفاء) دلّت على سببية البعث؛ لأنَّ الناس اختلفوا فيما بعد ولم يبقوا على توحيدهم القديم؛ لذا قُسم الخطاب الإلهي في القرآن الكريم إلى الخطاب الإلهي للأنبياء والخطاب الإلهي للأمم.

أ- الخطاب الإلهي الموجه للأنبياء في القرآن الكريم: هذا البحث في دوحة كتاب الله عزّوجلّ إذ يكشف عن الخصائص والمميزات النّحويّة في الخطاب الإلهي للأنبياء الذي نزل على نبي الإسلام عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم وجاء هذا الخطاب على صيغ متعددة منها النداء المباشر بالاسم، أو النداء بالصفة، أو النداء

---

(١) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٤١.

(٢) علم الدّلالة دراسة نظرية وتطبيقية: ٤٣.

(٣) الدّرس الدّلالي في خصائص ابن جني: ٢٨.

بالحال، ولهذه الآيات دلالات سيقف عليها البحث، ومنها:

١. النداء بالاسم: جاء الخطاب القرآني للأنبياء بالنداء بالصيغة المباشرة عند ذكر حرف النداء (يا) مع الاسم المنادى وحذف صلة النداء (أيّها)؛ للدلالة على قرب منزلة الاصطفاء والاختيار للأنبياء بأسمائهم نحو:(يا آدم، يا عيسى، يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا زكريا، يا يحيى، يا داوود)، والنداء بالمفرد العلم المبني على الضم وضمّةُ البناء فيه مشابهةٌ لحركة الإعراب؛ "لأنّه لما اطرد البناءُ في كل اسم منادّى مفردٍ، صار كالعِلّة لرَفْعه... فإنّ حركته متوغِّلةٌ في البناء، ألا ترى أنّ كل اسم مفرد معرفة يقع منادّى، فإنه يكون مضمومًا"(١)، وهذا يدّل على قرب الخطاب والاتصال المباشر بين الله سبحانه وتعالى والنبي المختار ليتناسب مع المقام التشريفي والإصطفاء بالتكليف الخاص الذي إنمازوا به عليهم السلام، ومثاله في نحو قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾(البقرة:٣٥)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آل عمران:٥٥)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود:٤٦)، وقوله تعالى:﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (هود:٧٦)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١١،١٢)، وقوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم:٧)، وقوله تعالى:﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم:١٢)، وقوله تعالى:﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾(ص:٢٦). في هذه النصوص القرآنية المُباركة يظهر أنَّ النداء المباشر للأنبياء بأسماهم يعقبه غالبًا فعل أمر يخصّ به الباري عزَّ وجلّ هذا النبي المختار تشريفًا له لإنجاز ما أُمر به(٢).

٢- النداء بالوصف: من لطائف أساليب التعبير القرآني الّشريف أنَّ الله عزَّ وجلَّ خصَّ نداء خاتم الأنبياء والمرسلين بالوصف؛ للدلالة على التكريم

(١) شرح المفصل:٣٢٦/١، ويُنظر: الجمل في النحو:١٦١.

(٢) يُنظر: البحر المحيط: ١٧٤/٦.

والتشريف، في نحو: (يا أيَّها الرَّسول، يا أيَّها النبي)، بـ(يا) حرف النداء،و(أيَّها) المنادى المبني على الضم في محل نصب، و(ها)التنبيه، والمرفوع بعده بـ(أل) العهدية بدل كل من كل أو عطف بيان؛ للدلالة على عظمة الوصف وكماله لتوجيه ذهن السّامع لخطاب التّفخيم والتّعظيم لنبي الرحمة، أو بوصف الرسول للدلالة على تبليغ التكليف بحسب مقام السّياق القرآنيّ[١]. في نحو قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥)، فأنَّ اختيار وصف النبي جاء مُلزم لمقام التّشريف والتّعظيم والاستئناس[٢]، وفي قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾(المائدة:٤١)، وفي قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(المائدة:٦٧)، جاء مقام النداء بصفة التبليغ؛ لاختيار وصف الرسول الذي أُلزم بفعل تبليغ أمر الرسالة القطعي؛ للدلالة على اعلانها على السّعة والشمول لهداية جميع النالس[٣]. وفي قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الانفال:٧٠)، وجه خطاب التشريف الإلهي بحرف النداء والمنادى وحرف التنبيه(أيّها) وتكليف النبي بدل الكل من الكل بصيغة الخطاب المفرد لجميع الأسرى بدلالة العموم للإخبار الثابت والجزاء الدائم نتيجة إيمان القلب الباطن فجزاءه الخير في الحياة الدنيا، والمغفرة في الحياة الآخرة[٤]. وفي قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة:٧٣)، فقد جاء النداء الإلهي للنبي القائد التشريعي للجهاد تكريمًا وتشريفًا لهذا التكليف الإلهي الذي ألزم به الله تعالى أمر الجهاد على كل مسلم ضد الكفار والمنافقين.أما في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ

(١) يُنظر: الكتاب: ٢٤٨/١، ومغني اللبيب:١٥٣/١، وهمع الهوامع: ٥٠/٢، ومعاني النحو: ٢٤٥/٤.

(٢) يُنظر: روح المعاني:٢٢٧/١.

(٣) يُنظر: جامع البيان عن تأويل القرآن:٥٢٩/٨.

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير:٨٠/١٠-٨١.

غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الاحزاب:٥٩)، فأنَّ نداء التكريم والتشريف وجه أمره لنبي الإسلام بدل الكل من الكل بالقول التشريعي والاجتماعي الخاص في الحشمة والستر لزوجات النبي وبناته ونساء المؤمنين جميعًا تشريفًا وتكريمًا لأهل بيته الأطهار فهنَّ القدوة والمثال الأعلى لعموم نساء الأمة الإسلاميّة، وبذا يتحقق مقصد فعل الخطاب الإلهي لكل نساء الأمة في جميع الأوقات والأزمان[١].

٣- النداء بالحال:[٢] كما في قوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدثر:١-٢)، وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (المزمل:١-٢)، ففي "(يا أيّها المزمل)، (يا أيّها المدثر)، ونداؤه عليه الصّلاة و السّلام بذلك تأنيس له وملاطفة على عادة العرب في اشتقاق اسم للمخاطب من صفته التي هو عليها"[٣]، للدلالة على "يا أيُّها اللابس خلعة النبوة ودثارها"[٤]، أي: أنَّ الله سبحانه وتعالى يُنادي نبي الرحمة بوصف حاله استئناسًا وملاطفة تمهيدًا لتكليف قيام الليل والإنذار[٥].

ب-الخطاب الإلهي الموجه إلى الأمم في القرآن الكريم:

يروم هذا البحث الوقوف على صيغ الخطاب الإلهي للأمم من الجن والأنس في القرآن الكريم الدستور الإلهي الذي تميز بدقّة الألفاظ وجمال الأسلوب والتعبير، فقد نادى الذكر الحكيم هذه الأمم؛ لتحقيق الغايات بحسب المقام والمخاطَب، ومنها: توجيه المعنى التشريعي والتقويمي، والعقديّ والتربويّ، والوعظ والإرشاد، أو التذكير والتحذير، وغيرها. ويكون هذا الخطاب الإلهي بدلالات خاصة، وأُخرى عامة في سياق القرآن الكريم، موزعة في عدّة سور منها:

١. كلام الله سبحانه وتعالى الموجه إلى الجن:

لقد سُبق ذكر الأمم من الجن؛ لأنَّ الخطاب الإلهي قدّم الجن على الأنس بقوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، إذ جاء البناء النّحويّ التركيبي لهذه الآية لتأسيس دلالة معنى التكليف العقديّ الكلي للخلق جميعًا من الجن والأنس، بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء،

(١) يُنظر: روح المعاني:٨٨/٢٢، والتحرير والتنوير:١٠٦/٢٢.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير:٢٥٢/٢٩.

(٣) روح المعاني:١٠١/٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٢٩٤.

(٥) يُنظر: جامع البيان: ١٣٠/٢٩.

لغاية استمرارهم في العبادة[١]، وفي قوله تعالى:﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾(الانعام:١٣٠)، الخطاب الإلهي في هذا الموضع جاء لتوبيخ الكفار جميعًا بالنداء عليهم بحرف النداء (يا) للمساءلة وإقامة الحجة على معشر الجن والإنس، إذ وردت الدلالة النّحويّة بوظيفة تقريريّة إلزامية بالنداء المباشر والعطف بينهما لإشراك الجن والإنس في الحكم والجزاء نتيجة إنكارهم لقصص الحق البينة التي أخبرهم بها رُسلهم فجاء الخطاب الإلهي بالاستفهام التقريري الإنكاري لكفرهم[٢]. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الانعام:١٢٨)، جاء الخطاب الإلهي في تصوير مشهد يوم القيامة والنداء الإلهي المباشر في سياق دال على الاستفهام التقريري التوبيخي(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ)باقتران النداء بالفعل الماضي و(قد) الذي يفيد التحقيق والتأكيد لإضلال الجن لبعض من الإنس[٣]. وفي قوله تعالى:﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن:٣٣)، جاء الخطاب الإلهي بنداء التحدي والمواجهة على جهة العموم لمعشر الجن والإنس، والجملة الشرطية (إِنِ اسْتَطَعْتُمْ) جاءت تعجيزيّة للدلالة على تعلّق فرض الاستطاعة بالفعل الماضي للدلالة على تحقق قدرة النفاذ وهو فعل أمر ليس حقيقي بل فعل أمر تعجيزي لبيان القدرة الإلهيّة التي يعجز أمامها الخلق جميعًا [٤]

٢. كلام الله سبحانه وتعالى الموجه إلى الإنسان: يقتصر البحث في هذا الموضع على آيات الخطاب الإلهي التي وردت فيها لفظ (الإنسان)، الذي هو اسم جنس إفرادي يُراد به نوع الجنس البشري عامةً، أي: الذي يدّل على الصفات العامة المتحققة في هذا النوع من الخَلق (الطبيعة البشرية) التي تنماز بالنسيان،

(١)يُنظر:معاني القرآن وإعرابه: ٥٨/٥، وتفسيرالرازي:١٠٤/١٠، واللباب في علوم الكتاب:٤١٥/١، والتحرير والتنوير: ١٨٢/١.

(٢)يُنظر:معاني القرآن وإعرابه:٢٩٢/٢، وتفسيرالرازي:١٥٠/١٣، روح المعاني:١٨٢/٢١.

(٣)يُنظر:معاني القرآن وإعرابه: ٢٩١/٢، والتحرير والتنوير:٦٧/٨-٦٨.

(٤)يُنظر: تفسير الرازي:٣٦٢/٢٩، إعراب القرآن وبيانه: ٤٠٩/٩.

والعجلة والضعف، وغيرها من الصفات التي تندرج نحو التقعيد العام المستنبط من تلك الصفات البشريّة المتحققة في جميع جنس بني البشر على اختلاف الأزمان والعصور، وهذه هي صفات الجبلة الإنسانيّة، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الأسراء:١١)، فالآية المُباركة دلّت على أنَّ الإنسان له طبيعة متأصلة وثابتة ومستمرة في تكوينه، وهو نتاج محدوديّة علمه وضيق أُفق الإدراك لعواقب تعجيل النفع ودفع الضّر؛ لكنه في الوقت نفسه قابل للهداية والإصلاح عند الإدراك والعمل بالتوجيه القيمي[١]، فإنَّ الخطاب القرآني الجامع الذي يتجلى في نداء هذا الجنس البشري بلفظ (الإنسان)، نحو قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار:٦)، وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق:٦)، فأنَّ التركيب النّحويّ وثيق الترابط والتفاعل بين المقصد الدّلالي الذي يكشف عن دلالات عقديّة وتربويّة عميقة عند النداء بالحرف (يا)، مع اسم النداء المبهم وحرف التنبيه(أيّها)، وذكر المقصود الحقيقي بالنداء (الإنسان) الذي هو بدل الكل من الكل؛ للدلالة على توسيع دائرة الخطاب الإلهي وتعظيم شأن المقصود بالنداء على العموم، ففي الخطاب الإلهي (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) جاء الاستفهام بدلالة الإنكار والتوبيخ لإنكار سلوك الإنسان وهو خطاب عقدي تربوي لإيقاض الضمير فلا يتطلب منهم الإجابة بقدر ما هو خطاب قرآني بأسلوب إنشائي موجه لعلاج غفلة الإنسان، ومصيره الوجودي[٢]، فـ(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)، خطاب توكيدي تقريري حتمي مستمر لأسم الفاعل(كَادِحٌ) الذي جاء بعده المفعول المطلق (كَدْحًا)؛ لبيان نوع اسم الفاعل وشدته؛ لأنَّ كل إنسان يُلاقي الله سبحانه وتعالى بعمله الخاص وله حسابه الخاص[٣]؛ لأنَّ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر:٣٨).

٣.كلام الله سبحانه وتعالى الموجه إلى الناس:

(١) يُنظر:الكشاف:٦٠٩/٢، والتحرير والتنوير:٦٨/١٧.

(٢) يُنظر:الكشاف:٧١٥/٤، والتحرير والتنوير:١٧٣/٣٠.

(٣) يُنظر:مفاتيح الغيب:١٠٣/١٧،وإعراب القرآن وبيانه: ٤٠٢،٤٢٢/١٠.

يتناول هذا البحث دراسة الخطاب الإلهي الموجه إلى النداء بلفظ (الناس) في القرآن الكريم، فهو نداء لجنس من الناس ويكثر في سياق السور المكيّة للدلالة على تقرير التوحيد، فالنداء الإألهي يخاطب الفطرة البشريّة والبديهيّة التي يستشفها العقل، فالدلالة النّحويّة لقوله تعالى: (يا أيّها الناس) بحرف النداء و(أيّها)،اسم النداء المبهم وحرف التنبيه، و(الناس)، اسم الجنس الجمعيّ للدلالة على العموم المطلق الذي خاطب به الله سبحانه وتعالى الناس في كل زمان ومكان، وهذا الخطاب الإلهي هو أصل التشريع والدعوة إلى تأسيس التوحيد لله وحده لا شريك له[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:٢١)، وفعل الأمر للناس بدلالة العموم؛ لأنَّ الخطاب ينبه على دعوة التكليف لعبادة لله وحده[٢]، وفي قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة:١٦٨)، وفي نداء قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء:١)، أمر الله سبحانه وتعالى عموم الناس بفعل التقوى لله وحده، فهو الخالق للدلالة على سعة القدرة الإلهيّة وكمالها "وهذان الوصفان هما اللَّذان بهما تثبت الرُّبُوبيَّة والإلهيَّة والجلالة والعزَّة، وبهما يجب على العبد أن يكون مُطيعًا للأَوامر والنَّواهي مُنقَادًا لكلّ التَّكاليف"[٣]. وقد ورد الخطاب الإلهي الدال على التهديد والوعيد لعموم الناس لمن لم يأتمر بفعل التقوى لله وحده لا شريك له وجزاءه يوم تقوم الساعة عند الله، إذ قال سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج:١)، وأكد الله سبحانه هذا الخطاب بنداء آخر فيه نوع من الإعذار والإنذار للناس وجزاءه يوم القيامة[٤] بقوله سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (فاطر:٥). وفي موضعٍ آخر من القرآن الكريم قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٥٧)، إذ خاطب الله سبحانه جميع الناس بالعظة في التمسك بالقرآن الكريم؛ لأنَّه هو سبيل التكليف والصلاح فهو

(١) يُنظر:الكشاف:١/١٢١.

(٢) يُنظر:إعراب القرآن وبيانه:١/٥٣.

(٣) تفسير الرازي:١١/٢٧٥.

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير: ٢٢/ ٢٥٧، وإعراب القرآن وبيانه: ٨/١٢٤.

المعجزة الإلهية الباقية[١]، وقال تعالى:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾(يونس:١٠٨)، فالقرآن وأحكامه وأوامره ونواهيه هو سبيل الهداية.

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى الناس مبيناً حال مراتب النشأة لجميع الخلق من الجنس البشري بقوله سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥)، فالخطاب جاء للدلالة على أنّ الله سبحانه قادر على خلقكم أيّها الجنس البشري الضعيف وإخراجكم من العدم مرّة أُخرى[٢]، وفي قوله سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، بيّن سبحانه وتعالى في خطابه للناس أنَّ التفاوت في خلقكم ونشأتكم يكون في الحس لا في الجنس؛ لأنَّ جميع البشر خلقوا من ذكرٍ وأُنثى، فلا يتفاخر بعضكم على بعض؛ لأنَّ الجميع خلقوا من نفس الطينة والجنس من أب وأُم[٣].

٤.كلام الله سبحانه وتعالى الموجه إلى بني آدم:

يتميّز كلام الله سبحانه وتعالى في خطاب بني آدم ذلك الأصل الإنساني بدلالة العموم، وهو ذو طابع متنوع الصّيغ ومتعدّد الأوجه بحسب المقام، إذ يتجاوز الخصوصيّة العقديّة والتشريعيّة للأمة الواحدة؛ لأنَّه يبحث عن القواعد الكليّة لبني آدم جميعًا لتأسيس العقيدة والسّلوك والتكليف على وفق الخطاب الإلهي ودلالته النَّحوية في السّياق القرآني، فأنَّ الخطاب القرآني يبتدأ بقوله تعالى: (يَا بَنِي آَدَمَ)، وهذه الصيغة النحويّة متكونة من حرف النداء(يا) والمنادى المنصوب(بني)، للدلالة على الاختصاص والتعيين لإفراد هذا الجنس الإنسانيّ بعينه المُنحدر في النسب من النبي آدم (عليه السلام)؛ لذلك كان موضع(آدم)، معرف بالإضافة مجرور[٤]، ومنه قوله تعالى:﴿يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ

(١) يُنظر: الكشاف:٣٣٦/٢، والتحرير والتنوير:٢٠٠/١١.

(٢) يُنظر: تفسير الرازي:٢٠٣/٢٣.

(٣) يُنظر: تفسير الرازي:١١٢/٢٨.

(٤) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: ١٩٩/١، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب:٦/١، ٢٨٩.

الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾(الاعراف:٢٧)، إذ جاء الخطاب التحذيري في هذا الموضع بأسلوب النهي(لَا يَفْتِنَنَّكُمُ) المؤكّد؛ للدلالة على أنَّ مقام هذا النداء القرآني ذو طابع تنبيهي استمراري لجميع بني أدم؛ للوقاية من رجز الشيطان وفتنته في كل الأوقات[١]. وفي خطاب التذكير عند قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الاعراف:٣١)، فأنَّ النداء جاء بسياق بفعل الأمر التشريعي (خُذُوا)، الذي يقتضي وجوب اللِّبس التَّام عند الصلاة؛ لأنّ اللبس التام سترٌ وزينة في هذا المقام المُبارك فأخلصوا العمل إلى الله سبحانه[٢]. أما في خطاب قوله تعالى:﴿يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(الاعراف:٣٥)، فجاء سياق النداء بـ(إمَّا) الشرطيّة التفصيليّة والفعل المضارع المؤكد (يَأْتِيَنَّكُمْ)؛ للدلالة على أنَّ جزاء بني آدم قد تعلّق تحقيقه بمجيء الرُسُل والاستجابة لهم ولما دعت إليه رسالتهم[٣]. وفي قوله تعالى:﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يس:٦٠)، جاء الخطاب الإلهي بهمزة الاستفهام التقريري، وأداة النفي والجزم والقلب(لم)، والفعل المضارع (أعهد) للدلالة على العهد السابق الذي وقف عليه المُخاطب من جنس بني آدم فكان الحجة عليه[٤].

٥.كلام الله سبحانه وتعالى الموجه إلى المؤمنين:

يُعد الخطاب الإلهي الموجه للمؤمنين من أبرز الأنماط وأكثرها ورودًا في السور المدنيّة؛ لأنَّ الخطاب الإلهي أعطى للمؤمنين من المسلمين مكانة ومنزلة خاصة تميزهم عن غيرهم من الأمم المذكورة؛ لذا نجد أنَّ الصّيغ النّحويّة في سياقها جاءت مخصوصة لتؤدي وظائف دلاليّة تُعنى بالتكليف الإلهي والتشريع الألهي، والتزكية الإلهية لهذه الثُلة المؤمنة، والتنظيم الاجتماعي، فالخطاب القرآني غالبًا يبتدأ بالنداء (يَا أَيُّهَا الذين آمنوا)، وهذا التركيب النحويّ يجمع بين النداء والصلة والوصف؛ للدلالة على التعريف بالمنادى والتكريم له ولتكليفه الذي أمره الله به سبحانه. ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ

(١) يُنظر: روح المعاني: ٤٠/٢٣، وإعراب القرآن وبيانه:٣٣٢/٣.

(٢) يُنظر: اللباب في علوم الكتاب:٨٩/٩، وروح المعاني:١٣٠/٨.

(٣) يُنظر: الكشاف:٩٧/٢.

(٤) يُنظر: حروف المعاني والصفات:١٩.

اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:١٥٣)، وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة:١٧٢)، ورد نداء الأمر للمؤمنين بصيغة النداء المكوّن من حرف النداء (يا)، والمنادى المرفوع(أيّها)، وهاء التنبيه، والاسم الموصول(الذين)، وصلة الموصول(آمنوا)، فالإيمان هو صفتهم الخاصة وهويتهم الثابتة المتحققة والمستقرة التي خاطبهم بها الله سبحانه للدلالة على تعظيم شأنهم هذا النداء وتفخيم منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى. وفي موضعٍ آخر خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنون بأسلوب الفرض والإيجاب؛ لإلزام تقرير الحكم التشريعي عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٨٣)، فالفعل الذي لم يُسم فاعله (كُتِبَ)، ذُكر للدلالة على التعظيم والتفخيم؛ لأنَّ الفاعل هو الله (عزَّ وجلَّ). وقد ورد الخطاب الإلهي في مواضع أخرى بصيغة النداء المقترن بفعل الأمر؛ للدلالة على لتنبيه المخاطب واستحضاره نفسيًا قبل التكليف بالأوامر الإلهيّة للمؤمنين جميعًا؛ لأنَّ صيغة الأمر تفيد العموم في دلالتها النحويّة[1]، ومن هذه المواضع على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات:٢٨)، وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة:٢٥٤)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:١٢٣)، وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج:٧٧)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء:١٣٦)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة:١٨). فأنَّ سياق النداء المقترن بالأمر في نحو: (اتقوا، انفقوا،

(١) يُنظر: الإحكام في أصول الأحكام: ٢٥٠/٢، والكشاف: ٦١٠/١.

أطيعوا، قاتلوا، اركعوا، آمنوا) جاء فعل الأمر مبني على حذف النون، والفاعل واو الجماعة وقد دلّت هذه الصيغ على التكاليف الإلهيّة الواجبة على جميع المؤمنين الالتزام بها والامتثال لها؛ لأنَّ هذا الحكم الشرعي تنظيمي لا فردي(١).

وفي موضعٍ آخر جاء الخطاب الإلهي بأسلوب النهي، عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:١٣٠)، الخطاب الجمعي للمؤمنين بنداء التشريف والاهتمام بالتكليف والإلزام الإلهي بـ(لا)الناهية والفعل المجزوم بحذف النون؛ للدلالة على الزام التحريم لأموال الرّبا التي تستحصل بالحرام سواء كانت قليلة أم كثيرة(٢)، وقد نهى الخطاب الإلهي الجمع المؤمن بالله وحده لا شريك له من اتخاذ الكفار والمشركين أولياء في عدَّة مولضع من آيات القرآن الكريم منها، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة:٥٧)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة:٥١)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (النساء:١٤٤)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (الممتحنة:١٣)،إذ نهى الله سبحانه المؤمنين بهذا النداء من اتخاذ الكفار والمشركين من اليهود والنصارى أولياء يتبعون ما يملون عليهم من تعاليمهم ومبادئهم التي أغضبت الله سبحانه وتعالى، أمَّا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(المنافقون:٩)، في هذا الخطاب التحذيري قد نهى الله سبحانه وتعالى الأمة المؤمنة من أن يُغرقوا بأمور الدُنيا اللآهيه التي تجعل المؤمن في غفلة عن دين الحق(٣). وفي موضع آخر ورد سياق الخطاب الجمعي للمؤمنين بأسلوب الشرط عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ

(١) يُنظر:اللباب في علوم الكتاب:١٤/١٤٥، والتحرير والتنوير: ١٧/٣٤٥، وإعراب القرآن وبيانه:١/٤،٤١٧/٥٣،١٠،١٩٦.

(٢) يُنظر:معاني القرآن وإعرابه:١/٤٦٨، وروح المعاني: ٢/٢٦٩.

(٣) يُنظر:اللباب في علوم الكتاب:١٩/١١٧.

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران:١٠٠)، فالنداء التشريفي الإلهي جاء بأسلوب الشرط في التكليف لاقترن النداء بوصف مقتضى الإيمان قبل التحذير من الإثر وخطورة العاقبة في العقيدة(١). وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الانفال:٢٩)، جاء الخطاب الإلهي بالنداء الجمعي المقترن بصفة الإيمان قبل عرض أسلوب الشرط بـ(إنْ) الشرطيّة وفعل الشرط(تتقوا) بصيغة الجمع الدال على أنَّ النداء التشريفي موجه لعموم هذه الأمة الذي بتحققه يتحقق الجزاء(٢).

وفي موضع آخر من القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الانفال:١٥)، ورد الخطاب الجمعي باقتران الظرف (إذا) بالفعل الماضي (لقيتم) للدلالة على تأكيد تحقق المواجهة واللقاء، والجواب المرتبط بالنهي (فلا تولوهم) للدلالة على التحريم القطعي الجمعي(٣). وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة:٩)، فالخطاب التشريفي جاء بالنداء الجمعي التكليفي للمؤمنين عند سماعهم نداء الصّلاة بالفعل الماضي (نودي)، المبني للمجهول، ومجيء فعل الأمر مرتبطًا بفاء التعقيب بعد النداء(فاسعوا)، وبعده (ذروا) للدلالة على الانتقال من حال التي كانوا عليها قبل نداء الصّلاة إلى حال الصّلاة(٤).

٦.كلام الله سبحانه وتعالى الموجه إلى أهل الكتاب:

المقصود بـ(أهل الكتاب) التوصيف الذي يحمل الدلالة المعرفية الملزمة لليهود والنصارى، الذين تلقوا الكتب السّماويّة (التوراة والانجيل)، وقاموا بتحريفها(٥)، إذ يُعد الخطاب الألهي الموجه لأهل الكتاب في القرآن الكريم من الخطابات ذات الدّلالات المتعددة؛ لأنَّ الخطاب عبارة عن مُساءلة لهم فمنها ما جاء دُعاء، ومنها خطاب حجاجي، وآخر تقريعي، أو تقويمي. ومن أبرز صور هذا النداء قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ

(١) يُنظر:روح المعاني:٣٠٠/٢، وإعراب القرآن وبيانه:٧/٢.

(٢) يُنظر: تفسير الرازي: ٤٧٦/١٥، إعراب القرآن وبيانه:٥٥٧/٣.

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير:١٧٧/٣.

(٤) يُنظر:إعراب القرآن وبيانه: ٩٣/١٠.

(٥) يُنظر:الكشاف:٢٠٥/١، وتفسير الرازي:٢١٢/٢٣.

اللَّهِ مَفْعُولًا﴾(النساء:٤٧)، فالنداء الجمعي بحرف النداء والمُنادى والبدل (الذين)، للجماعة الذين (اوتوا الكتاب) الفعل الماضي الذي لم يُسم فاعله، للدلالة على ضمنيّة التذكير بالحجة والتقريع لهذه الطائفة المخصوصة، وإلزامهم بفعل الأمر الصريح للإيمان بقوله تعالى:(آمنوا)، فهذا الأمر الموجه تكليفٍ لهم[١]. وفي قوله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾(النساء:١٧١)، فقد جاء النداء موجه بالخصوص إلى النصارى الذين خوطبوا بـــ(أهل الكتاب) للدلالة على التعريض؛ لأنَّهم خالفوا كتابهم وغلوا في عبادتهم لعيسى (عليه السلام)، فقد نهاهم الله سبحانه وتعالى بقوله: (لا تغلوا في دينكم) زجرًا عليهم وتحريمًا لهذا الفعل[٢]. أمَّا في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(آل عمران:٦٥)، وقوله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(آل عمران:٧١) فقد جاء الخطاب بنداء استفهامي توبيخي إنكاري (لم تحاجون)، والفعل المضارع الذي يفيد الاستمرار؛ دلالةً على المحاججة العقليّة[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(المائدة:١٩)، جاء الخطاب الإلهي بنداء مخصوص بدلالة الالتفات لعموم أهل الكتاب المنادى المنصوب من اليهود والنصارى، تحذيرًا من تحريفهم للكتب السماويّة التي أوحى بها الله إليهم[٤].

٧.كلام الله سبحانه وتعالى الموجه إلى بني إسرائيل:

إنَّ الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل يُعد من المواطن التي تتجلى فيها الدلالة النّحويّة لسياق الآية إذ تدل على التكليف والتذكير، والتوبيخ والتقريع، والتهديد والوعيد. ففي قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(البقرة:٤٠)، جاء الخطاب القرآني للدلالة بالنداء بحرف النداء(يا)، والمنادى المنصوب (بني) والتعريف بالإضافة (إسرائيل) للدلالة على نسبهم وهويتهم التي

(١) يُنظر:تفسير الرازي:٩٥/١٠، والتحرير والتنوير:٧٨/٥.

(٢) يُنظر:التحرير والتنوير:٥٠/٦، وإعراب القرآن وبيانه:٣٨٩/٢.

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير:٣٢١/١٤، وإعراب القرآن وبيانه: ٥٢٨/١.

(٤) يُنظر: إعراب القرآن وبيانه: ٤٣٤/٢.

تميزوا بها عن الأمم الأخرى، وهذا النداء جاء سياقه بدلالة التذكير والتقريع لهذه الأمة، وأمرهم بأن يذكروا نعمة الله والوفاء بالعهد بقوله تعالى: (اذكروا، واوفوا)، فأنَّ مجيء فعل الأمر بعد النداء مباشرةً يدل على التنبيه للمباشرة لهذا التكليف الإلهي، وفي مواضعٍ آخرى من هذه السورة كُرر نداء التكليف الإلهي بدلالة التذكير والتقريع لهذه الأمة لنقضها المتواصل للعهد والإيمان الإلهي، فقال تعالى:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(البقرة:٤٧)، وقوله تعالى:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(البقرة:١٢٢)، فقد كُرر هذا النداء في أكثر من موضع للتذكير والتأكيد "والإيذان بكمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعمة وليربط ما بعده من الوعد الشديد به لتتم الدعوة بالترغيب والترهيب فكأنّه قال سبحانه: إن لم تطيعوني لأجل سوابق نعمتي فأطيعوني للخوف من لواحق عقابي ولتذكير التفضيل الذي هو أجلّ النعم فإنه لذلك يستحق أن يتعلق به التذكير بخصوصه مع التنبيه على أجليته بتكرير النعمة التي هو فرد من أفرادها وأني فضلتكم على العالمين"[(١)]. الذي يظهر أنَّ النص القرآني فضل بني إسرائيل في مواضع متعددة من القرآن الكريم إلا أنَّ هذا التفضيل كان مقيّد بسياق زمني تكليفي محدد، وهذا ما تجلى في التركيب الدلالي النحوي للنصوص القرآنية الخاصة بالخطاب القرآني لبني إسرائيل. وفي قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:٨٥)، جاء الخطاب الإلهي الموجه إلى بني إسرائيل بإسلوب التعجب والتوبيخ للدالة على التقريع نتيجة فعلهم الذي أُكد باجتماع ضمير الفصل (أنتم)، واسم الإشارة (هؤلاء)، "(ثُم أَنْتُم هَؤُلَاءِ): الخطاب وقع لليهود من بني قريظة وبني النضير؛لأنهم نكثوا، فقتل بعضهم بعضًا، وأخرج بعضهم بعضًا من ديارهم وهذا نقض عهدهم"[(٢)]، وهذا سبب شدّة الخطاب الموجه لهم؛ وذلك لعلمهم بالعهد والميثاق الإلهي والإنكار له، فجاءهم الرد بأسلوب الاستفهام التقريري والتوبيخي لفعلهم بقوله تعالى: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)، فالاستفهام مع المضارع يدل على قبح استمرار فعلهم

(١) روح المعاني:١/٢٥٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه:١/١٦٥.

وتجدده وتناقضهم العقدي بين الإيمان والكفر، فلحقهم الخزي في الحياة الدنيا والعذاب في الآخرة[١].

الخاتمة

في الختام، وبعد هذه المسيرة لسبر أغوار البحث عن الدّلالة النحويّة في الخطاب القرآني للمُقارنة بين الخطاب الإلهي للأنبياء والخطاب الإلهي للأمم، ظهر فيه أنَّ خطاب الله سبحانه وتعالى اختلف بحسب المقام والسّياق الدّلالي للنص القرآني، منها:

١. إنَّ الجمل الإنشائية الطلبيّة التي جاءت بصيغة النداء للأنبياء عليهم السّلام كانت ذات دلالة مخصوصة بالاسم للتعيين والتشريف والتفخيم لمكانة من اختارهم سبحانه وتعالى واصطفاهم من دون غيرهم؛ لاستحضار صورة النبي المخاطب ذهنيًا، فنداء النبي باسمه العلم المفرد للعناية الإلهيّة الخاصة، أمَّا نداء الوصف بقوله تعالى: (يا أيّها النبي) للدلالة على التكريم والتشريف لمقام الرسالة المحمديّة المختارة لصاحب الوصف المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، في توجيه نداء للتشريع، أو التثبيت للحكم.

٢. أمَّا خطاب الأُمم فقد تباينت صيغه وأدواته الدّلاليّة بحسب الخطاب الإلهي لتلك الأمم الجمعي بصفة العموم والشمول؛ لتحقيق القصد الإلهي، فكان الخطاب الغيبي لـ(الجن)، بالنداء الصريح المقترن بخطاب الإنس؛ للدلالة على عموم التكليف الرسالي والشمول لجميع الخلق لاشتراكهم بوحدة المسؤوليّة أمام الله سبحانه وتعالى وتلك حجة عليهم.

٣. إنَّ صيغة الخطاب الإلهي للأمم هو المحدد لمجال دلالة الخطاب الجماعي الشرعي والتشريفي لوصف العموم عند قوله تعالى:(يا أيّها) (الإنسان، الناس)، لأمر إلهي تكليفي أو تشريعي. وقد يربط السّياق القرآني بالاسم الموصول (الذين)؛ للدلالة على ربط الحكم بالصفة الجامعة وشمول الجميع بها.

٤. جاءت صيغة الخطاب الإلهي في جملة النداء لأصول الإنتماء التاريخي والعهدي لدلالات شاملة دالة على خصوصيات تربويّة وتشريعيّة وأخلاقيّة عامة جامعة بين بني عرقهم، في نحو قوله تعالى: (يا بني آدم، يابني إسرائيل)، للدلالة على التذكير والتنبيه بالتكليف الإلهيّ بأساليب متعددة يقصدها القرآن بحسب فعل المُخاطب.

٥. يظهر البحث أنَّ الخطاب الإلهي لـ(بني إسرائيل) كان خطاب مساءلة واستذكار

(١) يُنظر: تفسير الرازي:٥١٩/٣ .

للتفضيل الإلهي لهم في الماضي استحضارًا للنعمة ومجابهتهم بالمعصيّة والذنوب في الحياة الدنيا فنتج عنه العذاب والابعاد لهم من رحمة الله وفضله في الحياة الآخرة.

٦. ورد الخطاب الإلهي للأمم بذكر صفتهم الدلاليّة المعرفيّة الخاصة بهم والمميزة لهويتهم، بقوله تعالى عند خطاب:(أهل الكتاب) من اليهود والنصارى الذين تلقوا الكتب السّماويّة (التوراة والانجيل)، وقاموا بتحريفها، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) ﴾؛ لذا نجد أنَّ دلالة الخطاب الإلهي جاء للمساءلة لهم والحجاج عليهم والتقريع والتنكير والتقويم لفعلهم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن:جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت–لبنان،١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
- الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين الآمدي(ت٦٣١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٨٠م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت–لبنان،١٤٢٠هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر –تونس، ١٩٨٤هـ .
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.
- الجمل في النّحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي

(ت٣٤٠هـ)، تحقيق: د.علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ط ١،١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

❖ حروف المعاني والصفات: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق:علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

❖ الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، د.أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ط١، الاسكندرية- مصر، ١٩٨٩م.

❖ شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (٦٤٣هـ)، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

❖ علم الدّلالة –دراسة نظريّة وتطبيقيّة، د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة –مصر، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

❖ كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، (د.ت).

❖ اللغة العربيّة معناها ومبناها، د.تمام حسان عمر، بيروت– لبنان، عالم الكتب ، ط٥ ، ٢٠٠٦م.

❖ معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، ط١ ١٤٣٤هـ.

❖ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ) ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٩٧٩م.

❖ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، د. محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق– سوريا، ط٦، ١٩٨٥م.

❖ مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة–مصر، ٢٠٠٢م.

❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،

تحقيق: عبد الحميد هنـــداوي، المكتبـــة التوفيقيـــــة، القـــــاهرة –مصـــــر، (د.ت)،(د.ط) .